الفصل السادس

موسى وجماعته

1- شخصية موسى.

2- من هم قوم موسى: تفسير التسميات التالية:

- عبرانيون.

- بنو إسرائيل (إسرائيليون).

- يهود.

3- قصة الخروج من مصر.

4- قوم موسى بعد موته (يشوع بن نون).

obeikandl.com

أولاً: شخصية موسى:

يلف الغموض شخصية موسى، والجدل ما زال دائراً حول نسب موسى وأصله. وعلى الرغم من أن (البرديات) المصرية لم تأتِ على ذكر موسى ونشأته المصرية. غير أن المؤرخين والباحثين اعتمدوا ما روته التوراة عن حياة موسى. فوجدوا في سفر الخروج تفصيلاً مطولاً عن موسى في طفولته ونشأته حتى موته.

لكن تلك المرويات ليست سوى مجموعة من الأساطير التي دونها كهنة التوراة أيام السبي البابلي وفيما بعد ذلك. وأن الخيال التوراتي لم يكتفِ بأن نسب موسى إلى سلالة إبراهيم الكهنوتية النبيلة بل جعله ربيباً لفرعون مصر وابناً لابنته بالتبني. كل ذلك ليس إلا محاولة لابتكار أصلٍ ملكي نبيل لموسى.

وأن قصة إلقائه في الماء صغيراً وانتشاله من قبل ابنة فرعون، ونشأته في البلاط الملكي، ليست إلا تكراراً لقصة طفولة (الملك سرجون الأكادي)، مع اختلاف في الأسماء والمكان. ويُعتقد أن كتبة التوراة قد اقتبسوها أثناء السبي البابلي.

وإذا عدنا إلى التوراة نجد في سفر الخروج المعلومات المدونة عن حياة موسى على النحو التالي: ((ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر))

خروج (إصحاح 1 : 22).

وتمضي التوراة في سرد الأسطورة فتقول: ((حبلت امرأة من بيت لاوي ... وولدت ابناً ورأت أنه حسنٌ، خبأته ثلاثة أشهر، ولما لم يمكنها تخبئته بعد أخذت له سفطاً من البَرْدي وطلته بالحُمَّر والزفت ووضعت الولد فيه ووضعته بين الحلفاء على حافة النهر)). خروج (2 : 1- 4).

بعد ذلك تقول التوراة: ((فنزلت ابنة فرعون إلى النهر لتغتسل وكانت جواريها ماشيات على حافة النهر فرأت السفط بين الحلفاء فأرسلت أمتها وأخذته. ولما فتحته رأت الولد وإذا هو صبي يبكي .. فرّقت له ... وأحضرت له مرضعة... ولما كبر الولد جاءت به المرضعة إلى ابنة فرعون. فصار لها ابناً ودعت اسمه موسى)) خروج (2 :5- 10).

ثم تمضي التوراة في الكلام عن موسى، تاركة أيام طفولته وفتوته فتقول: ((لما كبر موسى، أنه خرج إلى أخوته لينظر في أثقالهم. فرأى رجلاً مصرياً يضرب رجلاً عبرانياً من إخوانه... فقتل موسى المصري وطمره في الرمل)). خروج (2 : 11 و 12)

وتقول التوراة: ((فسمع فرعون هذا الأمر فطلب أن يُقتل موسى. فهرب موسى من وجه فرعون وسكن في أرض (مديان). وجلس عند البئر)) خروج (2 : 15).

يتضح من هذه الأسطورة، التي نسجتها التوراة حول موسى، أنها كانت ترمي إلى سوق الحوادث نحو الوصول إلى هدف معيّن، كانت التوراة ترمي إلى

تحقيقه. وكأن كتبة التوراة كانوا يهيئون موسى ليكون بطلاً لتلك الأسطورة.

ومن هنا يقتضي الأمر مناقشة تلك المرويات وإبداء الملاحظات التالية عليها:

أ - إن التوراة المتداولة الآن هي التوراة البابلية، والتي كتبها كهنة اليهود إبان السبي البابلي، في القرن السادس قبل الميلاد، أي بعد موسى بستة قرون، وهناك في بابل أخذوا قصة الملك سرجون الأكادي وجعلوها وكأنها حصلت لموسى.

ب- إن موسى لم يكن في مصر مطلقاً بل وُلد وتربى وعاش في شبه جزيرة العرب، وفي بلدة (مصر) في منطقة زهران، ثم انتقل إلى (مديان) وكان يرعى الغنم للكاهن (يثرون).

جـ - إذا كان موسى، قد تربى في بلاط فرعون مصر وادي النيل، وأصبح إبناً بالتبني لابنة فرعون، ثم يصبح قائداً في الجيش المصري، كما تقول التوراة، فكيف يهرب من وجه فرعون لأنه قتل رجلاً من عامة الشعب؟.

د - كيف نقلت التوراة العبرانيين العرب من شبه جزيرة العرب إلى مصر وادي النيل لتجعل منهم أرقاء مضطهدين؟! مع أن العبرانيين هم مجموعة من القبائل العربية كان تواجدها في شبه جزيرة العرب وبوادي الشام. كما أنه لا يوجد أي دليل تاريخي على وجودهم في مصر وادي النيل.

هـ - كيف عرف موسى أن أولئك الأرقّاء هم أخوته؟! وهو حسب الأسطورة التوراتية نشأ مصرياً في البلاط الملكي. هل كلمه الرب بذلك؟! التوراة لا تذكر أن وحياً نزل عليه.

كل هذه المتناقضات، أخذها المؤرخون الغربيون عن التوراة، دون مناقشة، ودون أن تثير لديهم أدنى شك بصحتها. فمن المؤرخين الذين كتبوا عن موسى، المؤرخ اليهودي (يوسفوس) الذي عاش في القرن الأول بعد الميلاد، في كتابه ((تاريخ اليهود القديم)) فيقول: ((إن موسى كان قائداً كبيراً بالجيش المصري)).

ومن العلماء المحدثين الذين بحثوا في حياة موسى، العالم النفساني المشهور (سيغموند فرويد) في كتابه (موسى والتوحيد) حيث جعله مصرياً مؤمناً بديانة إخناتون فرعون مصر، ويقول ((أراد كتبة التوراة أن يجعلوا منه يهودياً لأغراضهم)).

ويشارك (فرويد) في رأيه عن موسى، المؤرخ (ولّ ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) الجزء الثاني صـ326، فيقول: ((إن موسى اسمٌ مصري وليس يهودياً، ولعله اختصار لكلمة أحموسى)).

لقد وقع هؤلاء وغيرهم من المؤرخين، في خطأ الاعتماد على مدونات التوراة، وهم وإن قالوا أن موسى ليس يهودياً، لكنهم أكدوا على اعتباره مصرياً.

وقد أخطأوا أيضاً بقولهم أن موسى كان يحمل معه ديانة (أخناتون) فرعون مصر (الذي حكم بين 1379-1362 ق.م). لأن موسى لم يكن بحاجة إلى الديانة الأخناتونية. لأنه حصل على منبع الديانة الإيلية أثناء وجوده في مديان. تلك الديانة التي نادى بها إبراهيم الخليل والتي انتشرت بين القبائل العربية.

ثانياً: قوم موسى أو جماعة موسى:

في القسم الأول تناولنا شخصية موسى وآراء بعض المؤرخين حول حياة موسى، كذلك مناقشة التناقضات الحاصلة بسبب الاعتماد على مدونات التوراة. وسنتناول في هذا القسم، موضوع (قوم موسى) للوصول من خلال المصادر التاريخية إلى معرفة، من هم قوم موسى؟.

لذلك لا بد من تفسير بعض التسميات التي اعتقد المؤرخون أنها أسماء لمسمى واحد، ولها علاقة بقوم موسى:

أ - قوم موسى:

هم الذين ورد الكلام عنهم في سفر الخروج، حيث تروي التوراة عنهم أنهم الجماعة التي قادها موسى في رحلة الخروج. وتروي بعض المصادر أن هؤلاء ظهروا على مسرح الأحداث في غرب شبه جزيرة العرب، حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد، كمجموعة من العشائر البدوية الصغيرة والفقيرة، كانت تتجول بحثاً عن عمل. ويعتقد بعض المؤرخين أن هؤلاء كانوا من العرب (الميديانيين) الذين

مسكنهم شرقي بلاد زهران شمال العقيق. وأكثرهم يعملون كرعاة عند أغنياء البدو أصحاب المواشي الكثيرة أو كعمال زراعيين عند المضريين سكان منطقةزهران أو (المصريين) سكان قرية (مصر).

ويُعتقد أن عدداً منهم انضم إلى مجموعات السطو على المناطق الزراعية وعلى طرق القوافل التجارية. ومن هنا كانت ملاحقة (المصريين) أو المضريين سكان زهران لهؤلاء الذين وصفتهم التوراة بالأرقاء. وقد أرسل الرب موسى لإخراجهم من بلاد (المصريين) وإسكانهم في أرض تفيض لبناً وعسلاً.

ب- عبرانيون:

العبرانيون هم القبائل العربية الآرامية التي كانت تقيم في شمال شبه الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق، حوالي الألف الثانية قبل الميلاد، أو قبل ذلك بكثير، قبل أن يكون لموسى أو لجماعته أو لليهود أي وجود.

وأن ما ورد في التوراة من نعت إبراهيم الخليل (بالعبراني) إنما أُريد به تأييد أهداف كهنة اليهود من ذلك، وهو الانتساب إلى العبرانيين العرب، ومن ثم إلى إبراهيم بعد جعل نسبه (عبرانياً). مع العلم أن عصر إبراهيم إنما هو عصر آرامي عربي قائم بذاته، وليس له أية صلة بعصر موسى وقومه الذي يأتي بعد عصر إبراهيم بستة قرون.

وفي هذا الصدد يقول البروفسور (درايفر) أستاذ اللغة العبرية في جامعة أوكسفورد ما نصه: ((إن التوراة حينما تحدثت عن لغة جماعة موسى، لم تقل لغة العبرانيين بل دعتها ((شفة كنعان)) أي لسان كنعان، ثم أطلقوا عليها (يهوديت) أي اللغة اليهودية، بعد أن اقتبسوها وأخذوا يتكلمون بها ،ثم (لسون حقوديس) أي اللسان المقدس)).

ثم يضيف قوله: ((وفي وقت لاحق وجد الحاخامون اليهود، أن أفضل طريقة لربط تاريخهم بأقدم العصور، واعتبار عصر اليهود متصلاً بأقدم الأزمنة وذلك باستعمال مصطلح (عبري) أو (عبيرو)، للدلالة على اليهود بوجه عام)).

جـ -إسرائيليون أو بنو إسرائيل:

إسرائيل هو لقب يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، وبنوا إسرائيل هم أولاد وأحفاد يعقوب، الذي لقبته التوراة بـ (إسرائيل) ومعناه الذي اصطفاه الإله (إيل). وعلى الرغم من أن إبراهيم وأولاده وأحفاده ينتمون إلى القبائل العربية الآرامية، غير أن كهنة التوراة جعلوا اليهود ينتمون إلى يعقوب (إسرائيل) واعتبروا أن تاريخ بني إسرائيل أو اليهود يبدأ بانفصال هؤلاء عن العشائر الإبراهيمية الآرامية، ثم أطلقوا على أنفسهم (شعب الله المختار).

ولذلك فإن أكثر الكتّاب المتأثرين بالتوراة، قد درجوا على ربط تاريخ اليهود بإبراهيم الخليل، ويذكر أولئك نصوصاً فيما كتبوا تدعوا للعجب فمثلاً

نجد أن أحد النصوص يقول: ((إن الشعب اليهودي نزح إلى فلسطين من بلاد الرافدين في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد، بقيادة إبراهيم الخليل، ولم يكن عددهم آنذاك يتجاوز أربعة آلاف شخص)).

إن مثل هذا الخلط والتزييف يُدرّس الآن في مدارس اليهود في الولايات المتحدة الأميركية وغيرها. ومن المؤسف حقاً، أن أولئك المؤرخين لم يكلفوا أنفسهم عناء السؤال؟!: كيف يمكن أن يخرج إبراهيم مع اليهود وهو لم يكن موجوداً في الألف الرابعة قبل الميلاد، وهو الذي عاش في القرن التاسع عشر قبل الميلاد؟! ثم كيف يمكن أن يكون إبراهيم يهودياً، وهو الآرامي العربي، وأنه عاش ورحل من العراق قبل أن يكون لموسى أو لليهود أي وجود. وقبل أن يولد يهوذا بقرون عديدة؟!...

د- يهود:

أُطلق اسم (يهود) على بقايا الجماعة التي سباها الملك الكلداني (نبوخذ نصّر) إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد. وهذه التسمية مشتقة من اسم يهوذا أحد أسباط اليهود كما تقول التوراة.

كان هؤلاء يتكلمون اللغة الآرامية بعد أن أطلقوا عليها اسم (العبرية) وما يزال اليهود الآن يتكلمون تلك اللغة مع بعض التعديل. وكتب أحبارهم التوراة البابلية باللغة الآرامية أيضاً.

وجعلت التوراة من اليهود الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله جميع الحوادث المدونة في توراة بابل، فعدتهم موجودين في كل زمان ومكان حتى في جميع الأدوار التي سبقت ظهور إبراهيم وإسحق ويعقوب إلى عالم الوجود.

واعتبرت التوراة أيضاً أن الوجود اليهودي متصلاً في جميع الأدوار اللاحقة، من عهد القضاة وعهد الملوك وعهد الانقسام وما تلا ذلك من حوادث.

أما الحركة الصهيونية الآن، فتعتبر أن جميع اليهود في العالم مثل : يهود الخزر الذين اعتنقوا الديانة اليهودية في القرون الوسطى، ويهود أوروبا وأميركا ويهود الحبشة والهند وغيرهم من أبناء يعقوب (إسرائيل).

والأغرب من ذلك أن كثيراً من المؤرخين يتقبلون هذا الخلط والتزوير البعيد عن الحقيقة كل البعد((وسيأتي الكلام عن يهود العالم فيما بعد)).

وبعد تفسير التسميات التي اعتبرها المؤرخون مقترنة بقوم موسى، وأنها مسميات لاسم واحد. نعود بعد ذلك إلى الموضوع:

- من هم جماعة موسى أو قوم موسى؟

كما ورد معنا سابقاً، أن هؤلاء، هم الجماعة التي ورد ذكرهم في التوراة أثناء رحلة الخروج من مصر. وقد اعتبرتهم التوراة شعب الله المختار، حيث تذكّر الرب وعده لهم، فأوحى إلى موسى ليخرجهم من أرض العبودية إلى أرض كنعان التي تفيض لبناً وعسلاً. ولاندري كيف اختار الرب هذه المجموعة، من دون البشر

obeikandl.com

جميعاً، ليجعلهم شعبه المختار؟!. ولعل ذلك الاختيار ابتدعه الكهنة على لسان (يهوه).

أما الحقيقة التي غابت عن أذهان جميع المؤرخين، هي أن هذه المجموعة هم أشتات متفرقة من البدو الفقراء التي كانت تنتقل بين بوادي شبه الجزيرة العربية شرقاً وبين جبال السراة وبين المناطق الزراعية الخصبة فيما يسمى الآن الحجاز وتهامة، سعياً وراء إيجاد عمل عند أصحاب المزارع أو عند مالكي قطعان الأغنام والماعز والجمال.

ثم ظهرت من هؤلاء جماعات امتهنت الغزو والسطو على القرى الداخلية في كنعان (منطقة غامد وزهران) تسطو مرة على هذه القرية، وتنهزم ثم تعود لتغزو قرية أخرى مما أحدث بلبلة في تلك المناطق الزراعية الخصبة.

وهكذا تبدأ قصة تلك الجماعة في بداية القرن الثالث عشر قبل الميلاد، أي حوالي عام (1290) ق.م على حسب ما رواه المؤرخون.

ولكن الدكتور أحمد داوود يعطينا رأياً يختلف عما روته التوراة، في كتابه (تاريخ سوريا القديم) صـ 754 فيقول: ((وبدأت تحاك خيوط العملية بين موسى الهارب من أرض المصريين إلى مديان بسبب حادثة قتل المصري، وبين حميه يثرون المديانى، الذي تمكن من إقناع موسى بضرورة العودة إلى زهران، والعمل على إخراج أولئك العابرين الذين يعملون في (أورا) التي وردت في التوراة باسم (أفاريس)

عند فرعون المصريين في غرب زهران. وقيادة تلك الجماعة لغزو بعض أراضي الكنعانيين هناك)).

وبينما كان موسى يقود جماعته نحو أرض الكنعانيين، كان الأموريون يتغلغلون بين قرى ومدن (غامد وزهران) من الوسط والغرب، وبنو حث يوسعون نفوذهم في الوسط والشمال، وكانت جماعات أرامية أيضاً تضغط من الشرق على القرى والمدن الواقعة على سفوح الجرود الشرقية وتتوغل إلى الداخل في محاولة لتأسيس مراكز لهم على طول نهر الثرات في شرقي غامد وزهران[1].

ومع حدوث تلك التحركات، كان يثرون وشيوخ المديانيين المنتشرين شمال شرق زهران، يطمعون في الحصول على حصة من تلك الأراضي الخصبة. وينجح موسى في إخراج تلك الجماعة (قوم موسى) من أراضي (قرية مصر) في غرب زهران، وتبدأ هذه الجماعة بقيادة موسى تغزو المنطقة الزراعية من أرض كنعان في غامد، والتي أطلقت عليها التوراة اسم(أرض كنعان أرض اللبن والعسل).

وفي الوقت ذاته، تصدى الفلستينيون، سكان قرية (فل سته) والقرى التابعة لها، لجماعة موسى لمنعهم من غزو أراضيهم في زهران. هؤلاء أطلقت عليهم التوراة اسم (الفلسطينيين). حيث جاء في سفر الخروج (13 : 17 و 18) ما نصه ((وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها

[1] - انظر للخريطة.

obeikandi.com

قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً يرجعون إلى مصر. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف)).

وبعد موسى وفي زمن يشوع تبقى قرى الفلسطينيين دون أن يقربها أحد ، إلى جانب قرى كثيرة . فالفلسطينيون ليسوا إلا سكان قرية (فلستة) والقرى المجاورة لها

obeikandl.com

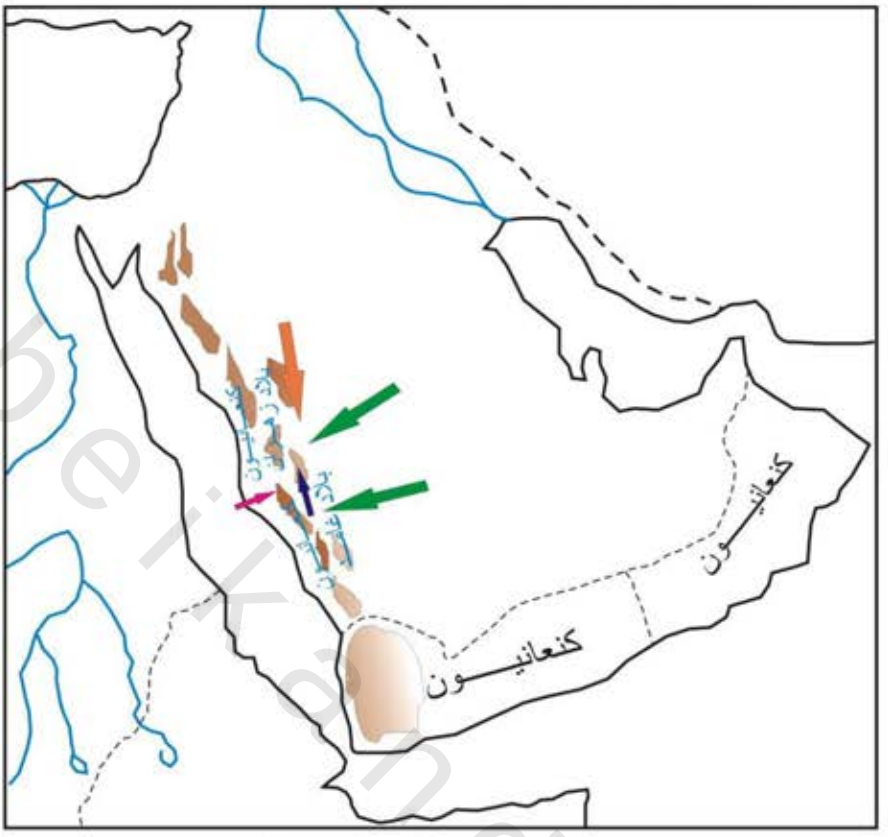

حركة الجماعات التي كانت تحاول الوصول إلى أرض كنعان

- أموريون من الغرب والوسط
- بنوحث في الوسط والشمال
- جماعات آرامية من الشرق
- قوم موسى والمديانيون من الشمال

وبعد موت موسى تنتقل قيادة تلك الجماعة إلى (يشوع بن نون)، الذي عبر بهم الجرود ومخاضات السيول إلى أرض (أرخو) التي تذكرهاالتوراة باسم (أريحا) **Jerico**.

ولكن المؤرخين اعتبروا الأرض التي جاء موسى بقومه إليها هي أرض فلسطين المتوسطية. وأن القرى التي غزاها أو دمّرها يشوع، هي في فلسطين الحالية، والتي اعتبرتها التوراة أرض كنعان زوراً.

بعد أن وصلنا مع موسى وقومه ومع يشوع من بعده، إلى هذه النقطة في تجوالهم للوصول إلى أرض كنعان(أرض الميعاد) لا بد من استعراض بعض آراء المؤرخين حول الأصول التي ينتمي إليها اليهود، قبل متابعة التطورات اللاحقة في تاريخ تلك الجماعة.

من المؤرخين مَن جعل اليهود ينتمون إلى الحثيين الذين كانوا في شمال الأناضول، ومن هؤلاء ، الدكتور (جيمس هنري براستد) الذي يقول في كتابه (تاريخ العصور القديمة)

صـ 260 ما نصه: ((وترك الحثيون علامتهم الفارقة، الأنف الأقنى، على وجوه مجاوريهم في العالم الأيجي والهلال الخصيب. ووجود هذه العلامة الفارقة في وجوه اليهود دليل على أن الحثيين هاجروا من بلادهم وقطعوا الطرف الغربي من الهلال الخصيب، فساقتهم الأقدار إلى فلسطين، حيث تركوا هذا الأثر في الوجه اليهودي)).

وقد غاب عن ذهن المؤلف، أن الأنف الأقنى في الوجه اليهودي لم يأتهم من الحثيين بل إن هؤلاء اليهود ذوي الأنف الأقنى إنما هم أوروبيون عرقاً ونسباً

اعتنقوا الديانة اليهودية خلال العصور الوسطى، ولا علاقة لهم بقوم موسى الذين وُجدوا في فترة ما قبل الميلاد.

أما الدكتور فيليب حتّي، يعتبر اليهود بأنهم ينتمون إلى الحوريين، الذين أسسوا مملكتهم في شمال سوريا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد. ففي كتابه(تاريخ سوريا) الجزء الأول صد/ 164 و165/ يقول: ((لقد بلغ من سعة انتشار الحوريين في سوريا في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد، أن المصريين أخذوا يطلقون اسم (خورو) أي (حوري) على بلاد كنعان ... وتلقي محفوظات (نوزي) ضوءاً جديداً على طرق المعيشة في عهد أسلاف الشعب العبراني (يقصد اليهودي وإن كان هذا يبدو مستغرباً)).

ثم يتابع الدكتور حتّي قوله: ((والحوريون المذكورون في العهد القديم الذين كانوا يُعتبرون حتى فترة حديثة من القبائل الضئيلة الأهمية لم يكونوا سوى هؤلاء الحوريين)).

تعليقاً على هذه الأقوال نقرأ في (تاريخ سوريا القديم) للدكتور أحمد داوود الملاحظات التالية:

1- إن الحوريين الذين ورد اسمهم في التوراة سفر التكوين، ((هم بنو عيسو الذي هو أدوم وهؤلاء أمراؤهم: بنو سعير الحوري، لوطان وشوبان وصبعون وديشون وديشان)) إذن، فالحوريون الموجودون في أرض كنعان، هم أبناء سعير

الحوري، قوم عرب، سكنوا الطرف الغربي من شبه جزيرة العرب، ولا سيما الجبال المطلّة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ولا علاقة لهم بجماعة موسى أو من عُرفوا باسم يهود.

2- حينما يقرر بعض المؤرخين ومنهم الدكتور حتّي أن الحوريين هم أسلاف الشعب العبراني (بمعنى يهودي)، وفي الوقت ذاته يعتبرون الحوريين من العرق، الـ (هندو - أوروبي)، وأنهم قدموا من وراء القفقاس، فإن ذلك يوقع الحركة الصهيونية في مأزق، لأن ذلك ينفي الأصل السامي لليهود، كما ينفي انتماءهم إلى إبراهيم الخليل، فلا يمكن أن يكون اليهود من أصل سامي، ثم من أصل هندو - أوروبي. لأن انتماء اليهود إلى الحوريين، يكذب ادعاء الصهيونية بالانتماء إلى الأصل السامي، الذي تتخذه الصهيونية ذريعة استعمارية كاذبة للوصول إلى الأرض العربية.

3- ولكن الحركة الصهيونية سرعان ما تبرر الملامح الحثية أو الحورية، وذلك للوصول إلى أهداف أخرى، نجدها تبرر الملامح غير السامية، على أنها أتتهم عن طريق إبراهيم الخليل نفسه. وباعتبار أن الحثيين أو الحوريين لم يدخلوا أرض كنعان لا في غرب شبه جزيرة العرب ولا في فلسطين المزعومة. إذن تبقى هذه الملامح قد أتتهم من خلال عشيرة إبراهيم قبل رحيلهم من (حرّان) التي زعموا أنها واقعة في شمال سورية. وقبل رحيلهم إلى أرض كنعان حسب مدونات التوراة.

وإذا كان الحوريون قد غزوا شمال سوريا وأسسوا مملكتهم في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ثم قُضيَ عليها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد كما يروي بعض المؤرخين. فكيف يمكن أن ينتقل تأثيرهم إلى إبراهيم الخليل وعشيرته الآرامية التي لم تكن إقامتها في حران السورية؟ ثم كيف يمكن أن يحصل ذلك التأثير ورحلة إبراهيم الخليل كانت في القرن التاسع عشر قبل الميلاد وزمن إبراهيم سابق على زمن الحوريين بخمسة قرون على الأقل؟!.

ونجد عند أحد الكتّاب اليهود المحدثين تعليلاً لهذا التناقض، هو الكاتب (هنري كوستلر) في كتابه (إمبراطورية الخزر وميراثها) الصادر عام 1976 ما نصه: ((كانت بلاد الخزر أول دولة إقطاعية في اوروبة الشرقية، وكانت على مستوى الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الإسلامية. فإذا كان الحال كذلك فإن الانتساب إلى العرق الآري التركماني، يغدو مربحاً جداً، في وقت لم يعد فيه التنصل من العرق السامي مضراً ولا خاسراً، بعد أن استنفذ أغراضه باغتصاب فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها بقوة القانون الدولي والأمر الواقع)) يقصد بالأمر الواقع قرارات الأمم المتحدة.

ويتابع كوستلر قوله: ((ولكن هذا الحق لا يستند إلى الأصول المحتملة للشعب اليهودي، ولا إلى الميثاق الأسطوري بين إبراهيم ويهوه. ولكنه يستند إلى

القانون الدولي أي قرارات الأمم المتحدة 1947 القاضية بتقسيم فلسطين. ولا شأن لمسألة الوجود الخزري منذ ألف سنة بإسرائيل الحديثة)).

وعلى أية حال فإن انتماء اليهود إلى الحوريين أو الحثيين، ليس أبعد من انتمائهم إلى قوم إبراهيم العربي. ولن يزيدهم انتماؤهم إلى الدين اليهودي قرباً من إبراهيم العربي، إلا كما يقرّب الإسلام، أبناء الصين والهند وأندونيسيا وغيرهم من الانتساب عرقاً إلى محمد بن عبد الله.

وإلا كما تقرّب المسيحية معتنقيها في العالم، من الانتساب عرقاً إلى السيد المسيح (عليه السلام).

وهكذا نرى أن أسطورة (الشعب المختار) والمقرونة بأسطورة (أرض الميعاد) التي ظلت الصهيونية تتمسك بها، لتحقيق هدف الوصول إلى فلسطين، لم يعد اليهود الآن يأبهون بها كثيراً، بعد أن استنفذت أغراضها الاستعمارية في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين، بالاغتصاب وبالدعم الكامل من الدول الاستعمارية، وبموافقة المنظمة الدولية في قرارها تقسيم فلسطين 1947 والاعتراف بقيام دولة إسرائيل عام 1948.

ثالثاً: قصة الخروج من مصر:

إن أسطورة خروج موسى وجماعته من مصر وادي النيل لا تختلف عن أسطورة شخصية موسى التي مرّت سابقاً، من حيث الهدف والقصد الذي دفع كهنة

التوراة أن يدوّنوا تلك الأساطير. وإذا كانت أسطورة موسى تستند إلى ممثل واحد هو (موسى)، غير أن أسطورة الخروج تقوم على عدد من الممثلين:

أ - إله اليهود (يهوه): الذي يخطط عملية الخروج، فهو رب اليهود الذي يتذكر آلام تلك الجماعة من الأرقاء في مصر وادي النيل، فيقرر أن ينفذ وعده (لإبراهيم وإسحق ويعقوب) كما تقول التوراة. فلا يدخر قوة إلا ويعطيها لموسى ليفعل السحر والأعاجيب، لإقناع فرعون مصر بأن يسمح لتلك الجماعة بالخروج من مصر، وكلما رفض فرعون الطلب كلما زادت العقوبات السحرية ضد فرعون وشعبه.

ب - موسى: الذي اختاره يهوه ليقوم بمهمة الخروج بعد أن زوده بقوة عمل السحر والأعاجيب، وبعد أن أعطاه (عصا) الرب السحرية.

جـ - هارون: وتقول التوراة أنه أخو موسى، مهمته مساعدة موسى لدى فرعون ولدى شيوخ إسرائيل، لإقناعهم بأن موسى قد أرسله الرب، ويجب الإيمان به وبرسالته.

د - يشوع بن نون وشيوخ إسرائيل: الذين يؤيدون موسى ويطلبون من الشعب إطاعة موسى في تنفيذ رحلة الخروج.

استرسل كتبة التوراة في شرح قصة خروج موسى وجماعته من مصر وخصصوا لها قسماً كبيراً من سفر الخروج. ولا ريب أنهم عكفوا أيام الأسر

البابلي على تدوين تاريخ اليهود كما يريدون ويرغبون، لا كما كان أو حدث فعلاً.

وقد اجتهدوا في جعل أصلهم يعود إلى أسمى الشخصيات التاريخية من الأجداد (إبراهيم وإسحق ويعقوب).

ولذلك اعتمد المؤرخون في تدوين قصة الخروج، على ما روته التوراة، لأنها المصدر الوحيد في اعتبارهم. ولأنهم نظروا إلى التوراة ككتاب مقدس لا يقبل النقاش. بغض النظر عن كونها كتاباً يروي تاريخ اليهود، وأنها كُتبت أثناء الأسر البابلي أي بعد سبعمائة سنة من قصة الخروج التي حصلت في القرن الثالث عشر قبل الميلاد حسب تقدير المؤرخين لذلك. وهنا جاءت تلك القصة مجانبة للحقيقة ومحوّرة بالشكل الذي يخدم مقاصد أو أهداف الكهنة.

بعد هذا التمهيد للدخول بالموضوع، نعود الآن إلى (سفر الخروج) من التوراة لنرى كيف هيأت الأحداث بعد هروب موسى من مصر بسبب ملاحقة الفرعون له كما مرّ معنا، ليعود موسى إلى مصر بأمر الرب لإخراج بني إسرائيل من مصر، وإنقاذهم من العبودية، (يقودهم إلى أرض الميعاد).

لقد تركنا موسى (أثناء الكلام عن قصة حياته)، في مديان يرعى الغنم عند الكاهن **يثرون**، الذي استقبل موسى لمساعدته لبنات يثرون عند البئر. ومن ثم تزوج من إحدى بنات الكاهن. وتذكر التوراة ذلك في سفر الخروج (2: 19-

22) فتقول: ((قالت بنات يثرون لأبيهن؛ رجل مصري أنقذنا من أيدي الرعاة وأنه استقى لنا أيضاً وسقى الغنم.فقال لبناته وأين هو؟ لماذا تركتنّ الرجل؟ ادعونه ليأكل طعاماً. فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل. فأعطى موسى صفّوره ابنته. فولدت له ابناً فدعاه جرشوم)).

ثم تقول التوراة في سفر الخروج (2: 23- 25) ما نصه: ((وتنهّد بنواسرائيل من العبودية وصرخوا فصعد صراخهم إلى الله من أجل العبودية. فسمع الله أنينهم. فتذكر الله ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب)).

أما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان. ولما كان في البرية ظهر له ملاك الرب بلهب نارٍ من وسط عليّقه. وهكذا تبدأ التوراة في سرد أسطورة الخروج بظهور ملاك الرب الذي خاطب موسى كما تقول التوراة:

((ثم قال أنا إله أبيك إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب... وقال الرب إني قد رأيت مذلّة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم.. فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة. إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً. فالآن هلمّ فأرسلك إلى فرعون وتُخرج شعبي بني إسرائيل من مصر)) . خروج (3: 6- 10).

انتهت المحاورة بين ملاك الرب وبين موسى بموافقة موسى على الذهاب إلى مصر، بعد أن وعده الرب بالمساعدة اللازمة وبعد أن منحه القدرة على عمل

الخوارق والعجائب لإقناع الشعب بأنه مبعوث الرب لإخراجهم من مصر أولاً، وثانياً لإقناع فرعون، ليسمح للشعب بمغادرة مصر وفي ذلك تقول التوراة في سفر الخروج (4: 12- 17) ما نصه: ((فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .. وقال الرب أليس ه ارون اللاوي أخاك. أنا أعلم أنه خارج لاستقبالك. فحينما يراك يفرح بقلبه. فتكلمه وتضع الكلمات في فمه وأنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلهاً، وتأخذ في يدك هذه العصا التي تصنع بها الآيات)).

بعد ذلك عاد موسى إلى حميه يثرون وقال له أنا: اذهب إلى مصر وارجع إلى أخوتي لأرى هل هم بعد أحياء؟! فقال يثرون لموسى اذهب بسلام.

وتقول التوراة في سفر الخروج (4: 20) ما نصه((فأخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمير ورجع إلى أرض مصر. وأخذ موسى عصا الله في يده)).

كيف يمكن لموسى وأسرته أن يسافروا إلى مصر وادي النيل عبر صحراء سيناء، على ظهور الحمير؟ وكم من الوقت يحتاج لقطع تلك المسافة؟ وهذا يدل على أن مصر هذه هي قرية (مصر) في غرب زهران، غرب الجزيرة العربية.

لنترك موسى مسافراًمع أسرته إلى مصر كما تروي التوراة ولنستعرض بعض الملاحظات على ما سبق:

1- وُلد موسى ونشأ في شبه جزيرة العرب، في منطقة بلدة (مصر) من بلاد زهران. ولم تكن له أية صلة بمصر وادي النيل، ثم انتقل وعاش في بلاد مديان يرعى الغنم للكاهن يثرون. وهذا يدل على أن موسى لم يكن من أصحاب المواشي، بل كان يؤجر عمله عند أصحاب قطعان الماشية. وهناك في مديان تزوج من ابنة الكاهن يثرون.

2- لو أن موسى تربّى في بلاط فرعون مصر كابن بالتبني لابنة فرعون، كما تقول التوراة. فكيف يمكن أن لا يعرف لغة أهل مصر. فلما طلب ملاك الرب منه أن يذهب إلى مصر لإخراج بني إسرائيل، كان جواب موسى: ((اسمع أيها السيد. لست أنا صاحب كلام. بل أنا ثقيل الفم واللسان)). خروج (4 : 10).

3- تقول التوراة أن الرب أرسل موسى إلى مصر لإخراج أخوته العبرانيين (أي بني إسرائيل)). بينما تدل المصادر أن كلمة عبري أو عبراني كانت تطلق على مجموعة من القبائل العربية في شمال شبه جزيرة العرب وفي بوادي الشام والفرات حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد في وقت لم يكن لليهود أي وجود ولما وُجد قوم موسى كانوا يقولون عن العبرية، أنا شفة كنعان أي لسان كنعان. ويتضح من ذلك أن العبرانيين لا علاقة لهم ببني إسرائيل. بدليل ما ورد في التوراة سفر الخروج (21 : 1- 2) ما ينص على: ((وهذه هي الأحكام التي تضع أمامهم، إذا اشتريتَ

عبداً عبرانياً فست سنين يخدم، وفي السابعة يخرج حراً مجاناً. إن دخل وحده فوحده يخرج)).

يضاف إلى ذلك، عدم وجود أية مدونات مصرية تشير إلى وجود هؤلاء العبرانيين في أرض مصر وادي النيل.

4- عمد مدونو التوراة إلى الأساطير فيما يتعلق بموسى وبعودته إلى مصر لتنفيذ أوامر الرب وإخراج الشعب من مصر. تقول التوراة: ((وقال الرب لموسى عندما تذهب إلى مصر انظر جميع العجائب التي جعلتها في يدك، واصنعها قدام فرعون)). خروج (4: 21).

التقى موسى بهارون، ومضيا معاً، وجمعا شيوخ بني إسرائيل[1]. كما تروي التوراة: ((فتكلم ه ارون بجميع الكلام الذي كلّم الرب موسى به، وصنع الآيات أمام عيون الشعب. فآمن الشعب)).

خروج (4: 30 و31).

بعد ذلك مضى موسى وه ارون، وقالا لفرعون أن يُطلق الشعب كما يقول الرب إله إسرائيل. فرفض فرعون الطلب قائلاً ((من هو الرب حتى أستمع لقوله فأطلق إسرائيل. لا أعرف الرب وإسرائيل لا أطلق)).

---

[1]- اعتبرت التوراة أن جماعة موسى، هم مجموعة من الأرقاء تحت سلطة فرعون مصر وأن (يهوه) سمع صراخهم فتذكر وعده (لشعبه) فكيف يمكن أن يكون لهؤلاء الأرقاء (شيوخ) أو زعماء؟! في حين أن الرقيق كان يعامل معاملة قاسية ظالمة كفرد أو كجماعة.

obeikandl.com

خروج (5 : 1و2).

لكن موسى قام بأمر الرب، بتحويل العصا إلى ثعبان، وتحويل مياه النهر إلى دم، فمات السمك ولم يقدر المصريون أن يشربوا من ماء النهر. ثم ضرب تخوم مصر بالضفادع التي تخرج من النهر وتهاجم بيوت فرعون وبيت الشعب. ومع ذلك رفض فرعون طلب موسى بإطلاق سراح الشعب.

ويتابع موسى عمل السحر والعجائب، فيضرب تراب الأرض فيصير بعوضاً يملأ أرض مصر. ثم يرسل الذباب ليملأ بيوت المصريين. وبأمر الرب نفقت جميع مواشي المصريين. وأخذ موسى ملء يديه رماداً وذراه أمام عيني فرعون فصار دمامل وبثور طالعة في الناس وفي البهائم. فأمر الرب موسى أن يمد يده نحو السماء، فكان (بَرَد) في كل أرض مصر. كذلك أمر الرب بإرسال الجراد فغطى وجه الأرض وأكل كل شيء من النبات والأشجار على وجه الأرض.

مع كل هذه العجائب التي فعلها موسى أمام فرعون ((لكن شدّد الرب قلب فرعون فلم يُطلق بني إسرائيل من أرضه)) خروج (10: 18).

لكن الرب كان يكثر من عجائبه في أرض مصر، وتقول التوراة: ((فحدث في نصف الليل أن الرب ضرب كل بكْرٍ في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيّه إلى بكر الأسير الذي في السجن وكل بكر بهيمة. فقام فرعون ليلاً هو وكل عبيده وجميع المصريين، وكان صراخ عظيم في مصر. لأنه لم

يكن بيت ليس فيه ميت. فدعا موسى وه ارون ليلاً وقال قوموا اخرجوا من بين شعبي أنتما وبنو إسرائيل جميعاً)). خروج (12: 29- 31).

وهكذا تبدأ رحلة الخروج كما دوّنها كهنة التوراة في سفر الخروج. ومما لا شك فيه، أن تلك الرحلة إنما كانت رحلة أسطورية، خيالية لا تستند إلى واقع تاريخي، ابتدعها كتبة التوراة في القرن السادس قبل الميلاد أثناء الأسر البابلي وبعد عدة قرون من التاريخ الذي وضعه المؤرخون لتلك الرحلة. ولذلك جاءت بالشكل الذي يخدم مقاصد وأهداف اليهود.

وقد حددت التوراة عدد الذين خرجوا مع موسى بستمائة ألف رجل ما عدا الأولاد. وفي هذا من المبالغة المقصودة، لأن بعض الباحثين قالوا إن العدد كان ((ستة أو سبعة آلاف)).

وتقول التوراة أن بني إسرائيل مكثوا في مصر ((أربعمائة وثلاثون سنة)) وهذا القول أيضاً إنما هو محض اختلاق، لأنه لم يعثر في المدونات المصرية ما يؤيد هذا القول.

ومن ناحية أخرى كيف سكت إله اليهود (يهوه) عن بقاء شعبه رهن العبودية والاضطهاد مدة أربعة قرون أو أكثر؟! لماذا لم يتذكر شعبه قبل ذلك؟!.

ألا يدل ذلك على أن (يهوه) هو أيضاً من اختراع كتبة التوراة؟!.

ولنتابع ما دوّنته التوراة عن رحلة الخروج التي تصف الطريق التي سلكها موسى وجماعته والحوادث الأسطورية التي اعترضت طريقهم فتقول: ((وكان لما أطلق فرعون الشعب، فارتحلوا من مدينة رعمسيس إلى سكوت ... لأن الله لم يهدهم في طريق أرض الفلسطينيين مع أنها قريبة. لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حرباً ويرجعون إلى مصر.. فأدار الله الشعب في طريق برية بحر سوف)).

خروج (13 : 17و18).

وتقول التوراة أن الشعب تابع الرحلة ((من سكوت إلى إيتام في طرف البرية واجتازوا منطقة البحيرات عند فم الحيروت، حيث سعى فرعون بج يش كبير وراءهم)).

تروي التوراة أن جماعة موسى قد فزعوا جداً وصرخوا إلى الرب. ولكن موسى قال لهم لا تخافوا لأن الرب سوف يخلّصكم من فرعون، انظروا ماذا سيحدث: ((مدّ موسى يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة وانشق الماء... فدخل بنو إسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سورٌ لهم عن يمينهم وعن يسارهم. وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند إقبال الصبح إلى حالته الدائمة. فدفع الرب المصريين في وسط البحر ورجع الماء وغطّى مركبات وفرسان وجميع جيش فرعون ... ولم يبقَ منهم ولا واحد)) خروج (14 : 21 إلى 28).

ولا تختلف هذه الأسطورة عن كل الأساطير التي ذكرتها التوراة جاعلة إله اليهود (يهوه) يفعل كل تلك الأعاجيب التي لا يمكن أن يصدقها العقل! وأية عصا هذه التي يمدها موسى لتشق البحر قسمين، وتجعل أرضه يابسة، ليعبر قوم موسى بسلام. ثم تعيد البحر إلى وضعه السابق ليغرق فرعون وجيشه!..

أليس من حق العالم أن يتساءل كيف يمكن أن يوجد إله حقيقي يفعل كل تلك الجرائم؟ وأليس من حق العالم الآن أن يعرف الحقيقة، ويرفض كل تلك الأساطير الكاذبة التي اختلقها كهنة التوراة؟! وهل يجعل هذا الاختلاق من التوراة كتاباً مقدساً، كما يعتقد الكثيرون؟!

وتمضي التوراة في الكلام عن خط سير الرحلة المزعومة فتقول: أن جماعة موسى وصلوا إلى برية (شور) ثم إلى (ماره) ثم إلى (إيليم) حيث توجد عيون وأشجار نخيل فنزلوا هناك. ثم رحلوا بعد ذلك إلى (رفديم) وفيها دارت معركة بينهم وبين العمالقة سكان البلاد. ثم رحلوا إلى برية (سين) ونزلوا مقابل جبل سيناء، وتسميه التوراة بـ (جبل موسى) وفيه نزلت الشريعة على موسى ومنها الوصايا العشر، كما تقول التوراة. وفي برية (سين) التقى موسى بحميه الكاهن يثرون.

وتقول التوراة أن الموسويين مكثوا في برية سين حوالي السنة. ثم رحلوا بأمر الرب إلى (قادش برنيع) مروراً ببلدة (حصيروت) على الضفة الغربية لخليج العقبة. ثم رحلوا إلى (عصيون جابر) آخر نقطة على ساحل خليج العقبة.

وحسبما تروي التوراة أن الموسويين رحلوا من عصيون جابر إلى (جبل هور) وهناك تصدى لهم العمالقة والكنعانيون وكسروهم، وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب فتقول : ((فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاههم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب)).

غضب الرب على إسرائيل لأنهم طلبوا من ه ارون أن يصنع لهم آلهة تسير أمامهم. فصنع لهم هرون (عجلاً) من ذهب وتقول التوراة أن الرب كلم موسى قائلاً: ((قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا عن الطريق الذي أوصيتهم به، صنعوا لهم عجلاً مسبوكاً وسجدوا له)). خروج (32: 7 و8).

وهكذا جعلت التوراة خط سير الرحلة، يدور جنوب سيناء، مروراً بالساحل الشرقي لخليج السويس، ثم الدوران شمالاً حول سيناء بمحاذاة الساحل الغربي لخليج العقبة حتى وصل موسى وجماعته إلى جنوب برية الأردن.

وتروي التوراة أن ه ارون مات في (جبل هور) السنة الأربعون لخروجهم من مصر. أما موسى فقد استمر في قيادة الجماعة، بعد أن تغلب على بعض الممالك

حسب رواية التوراة، إلى أن دخل في برية شرق الأردن مقابل مدينة (أريحا) في الجهة الغربية من نهر الأردن.

ويستفاد من مدونات التوراة أن موسى لاقى حتفه في ظروف غامضة، وقبل أن يدخل إلى أرض كنعان وفي ذلك يقول الباحث الألماني (سيللين) ما يلي: ((هناك دلائل، على أن موسى مات مقتولاً، اغتاله الكهنة الذين قاوموه فهدموا كل ما نادى به من تعاليم)).

ومن أغرب ما ابتدعته التوراة حول موت موسى، هو أن الرب اتهمه بخيانته فأمر بقتله، كما أمر بقتل أخيه ه ارون من قبله. وفي ذلك تروي التوراة ((كلّم الرب موسى قائلاً، متْ في الجبل كما مات أخوك ه ارون في جبل هور.... لأنكما خنتماني. عند ماء قادش في برية صين، إذ لم تقدساني... فإنك تنظر الأرض من قبالتها ولكنك لا تدخل إلى الأرض التي أنا أعطيها لبني إسرائيل... يشوع بن نون هو يدخل إلى هناك .. ولا تعبر هذا الأردن وأما يشوع فهو يعبر)). تثنية (32 : 48 - 52).

ومن الباحثين من يرى أن يشوع هو الذي اغتال موسى بأمر الكهنة حيث أخذه إلى الجبل، ثم عاد بدونه ليعلن أن أمر الرب بموت موسى قد تمّ تنفيذه.

كيف يأمر الرب بموت موسى وهو الذي اصطفاه من دون البشر، ليقوم بمهمة أرادها (يهوه) لإنقاذ شعبه من العبودية والاضطهاد؟! ثم كيف يكون موسى خائناً بنظر الرب وهو الذي أوحى إليه بشريعته كما تقول التوراة؟!.

فإذا كان موسى قد خان الرب، فكيف تُنسب هذه التوراة الموجودة الآن إلى موسى، وكيف تُسبغ عليها صفة القداسة؟!.

تقول الأديبة والكاتبة أبكار السقّاف في كتابها ((إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة)). ما نصه: ((إن هذه التوراة التي بين أيدينا، هي مصدر العقيدة للدين اليهودي، تعتبر موسى خائناً، غضب عليه الرب وأمر بموته جزاء خيانته، فكيف بعد ذلك، أن يُنسب هذا الدين اليهودي الحالي إلى موسى))؟!.

وتعليقاً على ما مرّ معنا، لا بدّ من ذكر بعض الملاحظات إيضاحاً للتناقض الحاصل حول قصة الخروج كما دونها كتبة التوراة:

1- إن من يخرج من مصر وادي النيل إلى فلسطين الحالية، لا يتوجه نحو الجنوب بل يسلك طريق الشمال وهي أقرب الطرق بين فلسطين ومصر وادي النيل.

2- تقول التوراة، إن الرب غضب على الشعب (لأنهم عبدوا عجلاً مسبوكاً من الذهب) فأتاهم في البرية أربعين سنة). فكيف يحصل ذلك وموسى قائد الجماعة يعرف البرية تمام المعرفة، لأنه كان يرعى الغنم في بلاد مديان، قبل أن يغادر إلى مصر؟!.

3- يعتقد بعض المؤرخين ومنهم (فرويد) أن موسى خرج من مصر بعد أن تربى في بلاط الفرعون وهو يدين بديانة (أخناتون) فرعون مصر. بينما تؤكد المصادر العربية أن موسى كان يدعو إلى دين إبراهيم الخليل كما يذكر الطبري ذلك.

وتقول التوراة أيضاً أن موسى تلقى الشريعة ومن بينها الوصايا العشر، في جبل سيناء. وهذا دليل على أن ما بشر به موسى من المبادئ الدينية، ليس إلا ما كان معروفاً عن عقائد دينية، عند العرب قبل موسى.

4- ويقول الدكتور أحمد داوود في كتابه: (تاريخ سوريا القديم صد 249) ما نصه: ((وانكببت مرة أخرى، قد تكون الخامسة على هذا الكتاب (ويقصد التوراة) ووضعت على ورقة بيضاء الخطوط الجغرافية العامة للمنطقة، ثم بدأت أتابع تحركات جماعة موسى من مصر، وأحرّك القلم معها أنى تتجه، وأضع الأسماء على الخارطة التي أمامي، وكانت المفاجأة، أن أحداً من موسى أو جماعته لم يقترب من فلسطين بل تبيّن أن جميع الأحداث المدونة في التوراة إنما كان مسرحها منطقة جد ضيقة ومحدودة من بلاد (غامد وزهران) في غرب شبه جزيرة العرب)).

ويتساءل الدكتور أحمد؛ فكيف إذن تمت عملية التغيير في الجغرافيا والتاريخ؟!. وجواباً على ذلك يقول في المصدر السابق ما يلي:

((في العهد السلوقي (اليوناني) بدأ كهنة التوراة تواجدهم الفعلي في سورية الجنوبية، ووجدوا الفرصة ملائمة لترسيخ أقدامهم في المنطقة الجديدة، فقام اثنان وسبعون كاهناً يهودياً بترجمة التوراة إلى اللغة اليونانية (الترجمة السبعونية) وأحدثوا في مسمياتها الجغرافية تزويراً كبيراً بحيث حدثت عملية الخلط الكبرى)).

ثم يتابع كلامه فيقول: ((فصارت معارك اليهود بين (وادي مصرايم ووادي الثرات)، التي تتجاوز في أقصى عرض لها عشرة كيلو مترات. ونتيجة لعملية التحريف صارت تلك المساحة، تشغل المنطقة الممتدة من نهر الفرات في أعالي سوريا إلى وادي النيل في مصر)).

5- إن خروج موسى وجماعته لم يكن من مصر وادي النيل، بل من مصر المدينة الواقعة في جنوب بلاد زهران. وفي ذلك يقول الطبري في حديثه عن موسى فيقول: ((وخرج إلى مدين خائفاً وله إحدى وأربعون سنة وكان يدعو إلى دين إبراهيم. وكان فرعون (مصر) في أيامه، قابوس بن مصعب بن معاوية)) تاريخ الطبري جـ1 صـ386.

وفي ما رواه الطبري عن موسى دليل واضح على أن رحلة الخروج كانت من (مصر) زهران، وليس من مصر وادي النيل حيث كان الملك رعمسيس الثاني هو فرعون مصر وليس (قابوس بن مصعب بن معاوية) فرعون مصرزهران.

6- ولعل الحملة التي قام بها رعمسيس الثاني (1301 - 1234 ق.م) آخر ملوك السلالة التاسعة عشرة، إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وتوغله شرقاً في أرض زهران، قد شجعت موسى على الخروج بجماعته من (مصر زهران) إلى أرض كنعان في غامد، لعله تحت مظلة هذه الأحداث، يتمكن من الحصول على قسم من أرض كنعان الخصبة بمعونة ملوك المصريين في غرب زهران وتشجيع حميه يثرون كاهن مديان.

7- ويقدم الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 813) تفصيلاً لخروج موسى وجماعته من مصر، يخالف فيه كلية كل ما ورد في التوراة حول رحلة الخروج، فيقول: ((أما خروج موسى بقومه إلى أرض كنعان، فكان على النحو التالي: كان موسى في البدء مقيماً في بلاد المصريين (مصرايم) في شمال غرب زهران، إلى أن تورط في حادثة قتل المصري (من سكان قرية مصرايم)، فهرب شرقاً إلى مضارب المديانيين حول جبل حوريب (أي جبل الرب).

وبعد أن ظهر له الرب في وادي (وطوى) الذي يرفد وادي (كارا) شمال شرق العقيق، عاد إلى أرض المصريين ليخرج عشائر الإسرائيليين علّه يستولي بهم على بعض أجزاء من أرض كنعان (التي تفيض لبناً وعسلاً).

فسلك بهم الطريق التالي:

خرج بهم من أرض المصريين في غرب زهران، مروراً ببحر سوف وهو (نهر سوف)، واسمه حالياً وادي (الشعف)، ثم داروا حول أرض سكان (فل ستة) وهم الذين دعوا مؤخراً باسم (الفلسطينيين)، واتجهوا شمالاً إلى جبل قاسي (كاسيوس) باليونانية والذي ذكرته التوراة باسم (الجبل الأقرع).

ثم عادوا مع مجرى النهر إلى برية ثور (شور) وهي اليوم غرب الطريق الدولي جنوب بلدة (الطاولة)ومنها إلى برية سين جنوب وادي (جتْ) عند الجتمية حالياً. ثم داروا بأرض أدوم الذي هو (عيسو أخو يعقوب)، وبعد أن صدهم ملك بلدة (عرّاد) عند منبع وادي عردة، الكنعاني. أوغلوا شرقاً إلى أرض مديان إلى جبل (حوريب) عند وادي وطوى. وهناك استقبل موسى حموه مع زوجته وطفليه، وأمضى وقتاً طويلاً هناك، حيث تلقى أمور الشريعة، إلى جانب أمورتنظيمية وإدارية أخرى لقنه إياها حموه يثرون كاهن مديان. وعلّمه كيف ينظّم أمور جماعته، وكيف يكون موقعه منها وكيف يفعل في الخصومات. وقد ذكرت التوراة ذلك في سفر الخروج (18: 8- 24).

ثم تحرّك بالجماعة بمحاذاة طريق القوافل جنوباً إلى موضع العقيق، وحاول الصعود بهم بمحاذاة الطريق نفسه إلى بلاد غامد، ولكن الكنعانيين الساكنين هناك صدوهم ومنعوهم،وكذلك فعل الأموريون.

وصلوا بعد ذلك إلى (عربات مؤاب) مقابل جبال (أورخ)، وهناك عبروا الجرود ومخاضات السيول إلى (يرخو) التي دُعيت بالترجمة (أريحا). وكان ذلك بقيادة يشوع إلى جنوب (الباحة) من بلاد غامد ، وذلك بعد موت موسى.

إنّ ما دفع موسى وجماعته إلى محاولة غزو بلاد الكنعانيين هو شهرة تلك المنطقة بخصوبتها وأهميتها الزراعية، لقد كانت بلاد المصريين في زهران وبلاد كنعان في غامد ، من أخصب مناطق شبه الجزيرة العربية، وأكثرها سكاناً وعمراناً ولا يفصلها عن سهوب البادية، الممتدة حتى جنوب العراق، غير سلسلة جبال عسير أو (السراة) الممتدة على تخوم بلاد غامد وزهران الشرقية،من الشمال إلى الجنوب مما يجعلها بمثابة سور تتخلله فتحات أو معابر، يعبرها جماعات من البدو من الشرق البدوي إلى الغرب الزراعي والعمراني عبر تلك الجرود (يردن)، لغزو تلك المناطق الزراعية، كان ذلك يحفّز سكان تلك المدن والقرى والأرياف إلى توحيد جهودهم ودفع موجات البدو شرقاً إلى خارج الحاجز الجبلي بعيداً إلى عمق البادية. وهذا هو بالضبط ما حدث مع قوم موسى.

انظر الخريطة في الصفحة التالية:

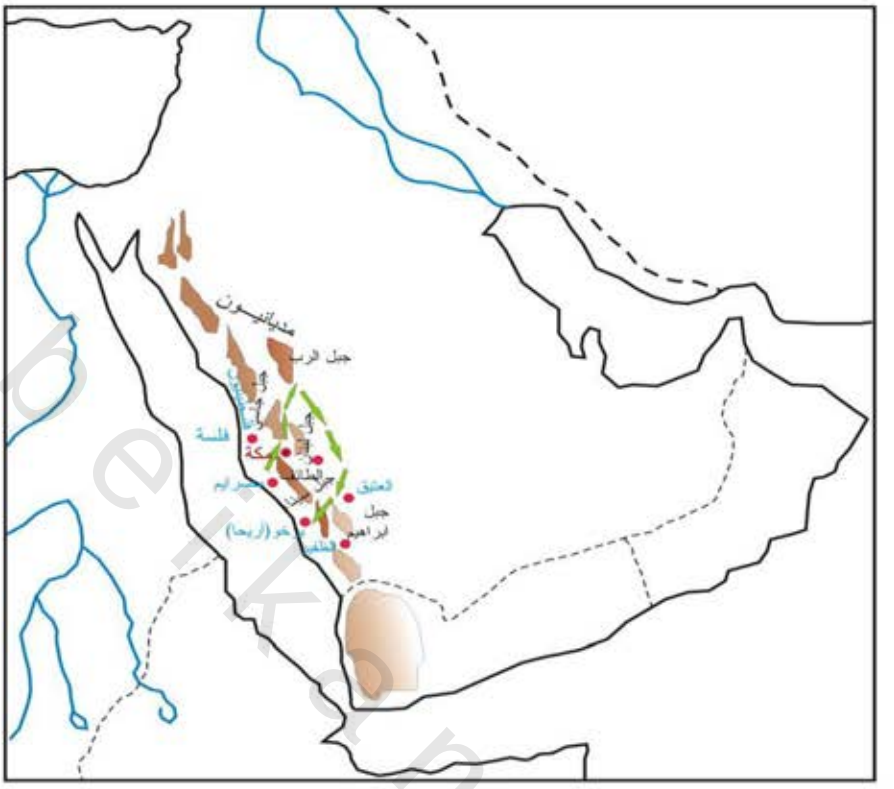

خط سير رحلة خروج موسى وقومه من قرية مصر إلى أرض كنعان (1290) ق . م

رابعاً: قوم موسى بعد موته (يشوع بن نون):

مرّ معنا في القسم السابق أن موسى لقي حتفه في ظروفٍ غامضة، وتقول التوراة أن موت موسى كان بأمر الرب، حيث قام يشوع بتنفيذ الأمر ولعل كان ذلك بأمر الكهنة الذين قررّوا موت موسى وإعطاء قيادة الجماعة إلى يشوع بن نون ليعبر معهم إلى أرض كنعان.

وتقول التوراة في سفر يشوع (1 : 1_2) ما يلي: ((وكان بعد موت موسى عبد الرب، أن الرب كلّم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً: موسى عبدي قد مات، فالآن قمْ إعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل)).

ثم تضيف التوراة قائلةً: ((فبكر يشوع في الغد وارتحلوا من شطيم وأتوا إلى الأردن، هو وكل بني إسرائيل وباتوا هناك قبل أن يعبروا... ثم قال يشوع لبني إسرائيل إن الله الحي في وسطكم وطرداً يطرد من أمامكم الكنعانيين والحيثيين والحويين والفرزيين والجرجاشيين والأموريين واليبوسيين)). يشوع (3 : 1- 10).

إن ما ذكرته التوراة في الآيات السابقة، إنما هو تمهيد لعبور بني إسرائيل، بقيادة يشوع بن نون، إلى أرض كنعان. وتقول التوراة، أن أول مدينة واجهت يشوع هي مدينة (أريحا)، لذا نجد وصفاً أسطورياً لحصار هذه المدينة، في سفر يشوع - الإصحاح السادس) فتقول ((وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بني إسرائيل.لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. فقال الرب ليشوع انظر قد دفعت بيدك أريحا وملكها جبابرة البأس... وفي ذلك اليوم (أي اليوم السابع) فقط داروا دائرة المدينة سبع مرات... وأن يشوع قال للشعب اهتفوا إن الرب قد أعطاكم المدينة. فتكون المدينة وكل ما فيها محرّماً للرب.. وكان حين سمع الشعب صوت البوق أن الشعب هتف

هتافاً عظيماً فسقط السور في مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة وحرّموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف)).

إن سقوط أريحا بيد يشوع وبني إسرائيل، إنما هو مجرّد أسطورة زائفة من تأليف كتبة التوراة الذين زيّفوا كل ما له علاقة بتاريخ اليهود.

وذلك لأن عبور بني إسرائيل بقيادة يشوع لم يكن عبوراً لنهر الأردن الحالي، بل كان عبوراً للجرود الجبلية في طريقهم للوصول إلى أرض كنعان في بلاد غامد في غرب شبه جزيرة العرب، وأن الخلط حاصل بسبب ترجمة كلمة (جرود - يردين) إلى اليونانية مما أدى إلى أن الكلمة أصبحت تعني (نهر الأردن) وفقاً لتبديل أسماء الأماكن والمواقع.

ثم أن مدينة (أريحا) هذه ليست أريحا الفلسطينية، الواقعة غرب نهر الأردن، بل هي مدينة (يرحو) أو (يركو) في بلاد زهران حيث تمت ترجمتها في السبعونية إلى (جيريكو **Jerico**) الواقعة في فلسطين.

أما سقوط أسوار المدينة، فيما لو حصل فعلاً، يكون بسبب موجة الزلازل التي تضرب المنطقة بين فترة وأخرى منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد وما بعد. ولكن كهنة التوراة كانوا يصفون الحوادث وكأنها حصلت بسبب سلطة (يهوه) وقدرته.

وتصف التوراة عمل بني إسرائيل في المدينة فتقول: ((وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها.إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب)). يشوع (6: 24).

ومن تلك الجرائم تعلم حكام إسرائيل الآن في فلسطين المغتصبة، كيف يقتلون الرجال والنساء والأطفال، ويهدمون البيوت، ويقتلعون الأشجار، إلى آخر ما علمهم (إلههم يهوه) وما علمتهم التوراة.

ولم يقتصر الأمر على إحراق المدينة بالنار بل تقول التوراة ((وحلف يشوع في ذلك الوقت قائلاً ملعون قدّام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا)). يشوع (6: 26).

ثم تصف التوراة حروب يشوع ضد ملوك الأرض الذين اجتمعوا لمواجهة يشوع وجماعته فتقول: ((وهؤلاء هم ملوك الأرض الذين ضربهم يشوع وبنو إسرائيل.. في عبر الأردن غرباً من بعل جاد في بقعة لبنان إلى الجبل الأقرع الصاعد إلى سعير. وأعطاها يشوع لأسباط إسرائيل ميراثاً حسب فرقهم)).

يشوع (12: 7).

ولكن التوراة تروي أن يشوع أرسل ثلاثة آلاف رجل لاحتلال قرية (عاي) غير أن أهالي عاي ضربوا الجماعة وقتلوا منهم عدداً، ثم لحقوهم إلى خارج أبواب المدينة وأجبروهم على الهرب. وتعزو التوراة ذلك إلى غضب الرب على إسرائيل

فتقول: (وخان بنو إسرائيل خيانة في الحرام... فحمي غضب الرب على بني إسرائيل)).

يشوع (7 : 1).

وتعليقاً على ذلك التزييف والخلط يقول الدكتور أحمد داوود في كتابه (تاريخ سوريا القديم صـ 717)، ما نصه: ((فنتأمل معاً هذه الجغرافيا التوراتية التي ظل المؤرخون وأساتذة التاريخ، وما زالوا، يدرّسونها ويأخذون بها حتى اليوم؛ نحن نقف على نهر الأردن مقابل أريحا (حيث عبر يشوع)، وننظر إلى أرض كنعان التي تمتد أمامنا غرباً والتي ضربها يشوع ((وأعطاها لأسباط إسرائيل ميراثاً))، فإذا بها تمتد من لبنان إلى الجبل الأقرع، وبكلمة أخرى إنها أرض طرابلس وطرطوس واللاذقية الحالية..! أما (سعير) فهو أحد أولاد أدوم الذي هو عيسو أخو يعقوب. وقد دعي الجبل باسميهما معاً (أدوم وسعير)، وقد حدّد جغرافيو التوراة موقع (أدوم) على الجانب الشرقي من خليج السويس. فنتأمل هذا الجبل (الأقرع) الذي يقع غرب الأردن، ويقع شمال لبنان، ويصعد إلى خليج السويس في مصر)).

تقول التوراة أن عدد الممالك التي ضربها يشوع وبنو إسرائيل، يصل إلى واحد وثلاثين. مع العلم أن هذه الممالك جميعاً ليست إلا قرى ومزارع صغيرة وبيوتاً

ومنازل ومضارب خيام في أرض غامد وزهران يتزعم كلاً منها (ملك)، ولم يكن ملوك إسرائيل إلا من نوع هؤلاء الملوك.

وبعد أن شاخ يشوع وتقدمت به السن، دعا بني إسرائيل وقال لهم: ((أنا قد شختُ وتقدمتُ في الأيام.. انظروا قد قسّمتُ لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكاً حسب أسباطكم)).

ويقصد بالشعوب الباقين (قرية فلشة) والقرى التابعة لها (أي أرض وقرى الفلسطينيين في زهران) دون أن يتمكن يشوع وبنو إسرائيل أن يقربوها أو التعرض لها.

وتقول التوراة في سفر يشوع (24 : 29): ((وكان بعد هذا الكلام أنه مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشر سنين)).

وقبل أن يموت كان قد قطع عهداً للشعب بأن لا يعبدوا إلهاً غير الرب وكتب ذلك في سفر شريعة الرب كما تقول التوراة.

بعد يشوع تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ تلك الجماعة حسب ما ورد في التوراة، هي (مرحلة القضاة) . وقبل الكلام عن المرحلة الجديدة هذه يقتضي الموضوع إيراد بعض الملاحظات:

أ - يحق لنا التساؤل عن ماهية هذا الإله (يهوه) الذي اختاره كهنة اليهود ربّاً لهم وخاصاً بهم من دون بني البشر جميعاً؟

ب- ثم أي إله هذا الذي يحارب من أجل مجموعة من الناس يقودهم موسى ثم يشوع من بعده، ويأمرهم بقتل غيرهم من الشعوب؟ وانتزاع أراضي ومدن وقرى وممتلكات تلك الشعوب ليمنحها ميراثاً إلى تلك الجماعة التي ادّعت بأنها (شعب الله المختار).

جـ - إن الله الذي خلق جميع البشر بالتساوي وأن (أكرمهم عند الله أتقاهم). كيف يمكن أن يختار الله مجموعة صغيرة من بني البشر لتكون شعباً مختاراً من دون بني الإنسان؟. ومن ثم يكو ن لها حق الاغتصاب والقتل؟.

د- إن دلّ ذلك على شيء إنما يدل على أن هذه التعاليم التي يؤمن بها اليهود وتأمر بالقتل، والتدمير والحرق. هي تعاليم ابتكرها الكهنة ودونوها في التوراة على أنها تعاليم من عند الرب مع أنها انحراف عن تعاليم موسى التي تنهى عن القتل، بعد أن قتلوه بتهمة خيانة الرب.

واستناداً إلى هذه التعاليم يقوم حكام إسرائيل اليوم بإبادة الشعب العربي الفلسطيني واغتصاب أرضه، لتوطين اليهود الغرباء القادمين من مختلف أصقاع العالم محل العرب الفلسطينيين أصحاب الأرض والبلاد.